

GHANIM

IBTISAMAH

Princeton University Library



32101 073553735

نحو روح جديدة

البنسامة وروح !!

تأليف

محفوظ عبد المال غانم

Ghānim Maḥfūz 'Abd al-'Āl
الغنىمة محفوظ عبد العال

نخور روح جدیدۃ الدكتور احمد زکی الی شادی

تقديم الأستاذ عمرو نشتر الرسالة

القصة مع تحياتي

21

Ibtisāmah

کتابخانه و موزه !!

تالیف

محفوظ عبد المال غانم

مطبعة النفير شارع كاولشي شام ۱ بانكده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

65-14

٣

2269
37773
348
1938

الاهداء

ابتسامة يشع منها الولاء .

ابتسامة الطفل لأمه .

هل في حياته حبيب غيرها ؟

دموع تتدفق بالرجاء .

دموع الطفل لأمه .

هل في حياته موئل غيرها ؟

ابتسامة ودموع .

ابتسامة شعب يشع منها الولاء .

دموع أمة تتدفق بالرجاء .

مبسوطة أمام الملك الفاروق

هل في الحياة حبيب وموئل غيره ؟

آمال شعب وأمانى أمة مرفوعة إلى سدة حضرة
صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول ملك
مصر والسودان .

محفوظ عبر المال غانم

المقدمه

هاؤم اقرؤا كتابيه

محفوظ عبر المال غانم

ابتسامة ودموع

يوم هائل

يوم الخميس ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٥٦ هـ

هـ أغسطس ١٩٣٧ م . يوم حلول الملك

الفاروق بعاصمة ملكه الثانية بعد تتويجه

بأسيوط

يوم عظيم نادر

وأى يوم أعظم وأندر من يوم تشريفه

صاحبة الجلالة الـ نسيبة ؟

أعوام إثر أعوام فى إثرها أعوام تقضت

والانسانية المسكينة المسكينة قابعة في كوخها البعيد البعيد
بين صخور المكس.. تندب حظها العاثر وتبكي نكلها.
ومن ثكل الانسانية المسكينة عرف الشكل !!
وحولها وصيقاتها البائسات البائسات :
الحب والحكمة والحرية يندبن حظهن العاثر
ويبكين نكلهن ..

ومن أحق بالبكاء والنواح والندب والعيول .
ومن أعرف بالشكل ولوعة الشكل وحرقة الشكل بعد الانسانية
من الحرية والحكمة والحب ؟ !
لا يزورهن أحد . ولا يرأسهن أحد .
ولا يعرج بهن أحد . ولا يفكر في نقلهن الى
المدينة أو الضواحي العامرة من المدينة أحد .
وإن آلم ما يؤلمهن في وحدتهن ووحشتهن ما ينقله
اليهن الاثير من الاصوات وهي تطحن وتمجن

وتلوك أسماءهن النورانية ملايين ملايين المرات
بين الفترة والفترة . . وما أكثر الذاكرين
والذاكرات للانسانية والحب والحكمة والحرية .
على أن أعظم مصدر يبتعثون منه أسماءهن
النورانية الحناجر . . وما أظلم ما بين الحناجر
والقلوب !! وما أشد وما أشد ظلام القلوب !
يوم عجيب حقاً . .

ابتسمت فيه صاحبة الجلالة الانسانية لأول
مرة منذ أعوام وأعوام حال فيها البشر بينها
وبين الابتسام حتى كادت تجهل الابتسام وكيف
يكون الابتسام . بل جهلته . حقاً جهلت كيف يكون
الابتسام . وظهر هذا في ابتسامتها هذه وقد
بدا التكلف جلياً واضحاً على وجهها الجامد . .
على أن ابتسامتها هذه لم تكن إلا منبعشة من

عمق أعماق قلبها

أشرقت شمس يومنا ذاك فقابلتها صاحبة الجلالة
الانسانية بابتسامتها وأعقبتهـا بدموع . وقابلها
الوصيفات بما يقابلنها به كل يوم : وجوه جامدة ..
لا جديد ولا غريب .. وكن واقفات يـيباب
الكوخ في استقبال الشمس ككل يوم يستقبلنها
في الصباح ويودعنها في المساء : لا غريب ولا جديد
وأثارت ابتسامة الانسانية ودموعها الوصيفات
فهمسن :

« الابتسامة ولا جديد ولا غريب ؟

أمر عجيب . ابتسامة ودموع ؟

أمر غريب . ابتسامة ودموع

الابتسامة ولا غريب ولا جديد ؟ »

وصمتن على صوت صاحبة الجلالة الانسانية

فى نبرات غريبة :

« الى المدينة الى المدينة »

فتها من :

(إلى المدينة ولا جديد ولا غريب ؟)

...

وسار موكب صاحبة الجلالة الانسانية الى المدينة
بين ابتسامة ودموع صاحبة الجلالة وهمس الوصيفات

« أبتسامة ولا جديد ولا غريب ؟

أمر عجيب . ابتسامة ودموع ؟

أمر غريب . ابتسامة ودموع ؟

إلى المدينة ولا غريب ولا جديد ! »

إيمان

وفي الوقت الذي تحرك فيه موكب صاحبة
 الجلالة الانسانية على الاقدام . بين ابتسامة
 ودموع . من الغرب الى الشرق . من صخور
 المكس . من ضاحية الاسكندرية الموحشة . الى
 المدينة . . تحرك مختار على الاقدام . بين ابتسامة
 ودموع . من الشرق الى الغرب . من رياض
 الرمل . من ضاحية الاسكندرية العامرة . الى
 المدينة .

ومختار هذا مسكين من المساكين . وما أكثر

وما أكثر المساكين !!
نموذج للشقاء . خارطة للبؤس . هيكل للتعاسة
يستعين به الدهر على القاء دروسه في مدرسة
الزمان . وما أئمن دروس الدهر !! وما أعلى
مدرسة الزمان !!

طويل القامة حتى الشذوذ . نحيل الجسم حتى
لكأنه خيال سار . وما كان يبدو طويلاً كما
يبدو في هذه الايام السوداء لا ولم يكن نحيلاً .
وإنما كان ممتلئ الجسم مع رشاقة في القامة . وإنما
كان نموذجاً حسناً للشباب في الذوق والتكوين
الجمالي . وعصرته الايام . وامنصته
الليالي . فصار نحيلاً نحيلاً حتى لكأنه خيال
سار . وكأنما التحول زاده طولاً على طوله حتى
بدا شاذاً في طوله .

شاحب اللون اسمه . وما كان شاحب اللون
لا ولم يكن اسمه وإنما كان قمحي اللون . وإنما
كان مشرق الوجه . وإنما كان مثالا صادقا
للبشرة المصرية الصميمة . ومسحت على وجهه
يد الزمان مسحة البؤس . وقنعته بقناع الشقاء
ومن ؟! ومن يجهل مسحات البؤس . وأقنعه
الشقاء ؟؟؟

عجزت الأيام التي عصرت جسمه عن أن
تعصر رأسه . فظل كما كان في عهد الطفولة
وعهد الصبا . وعهد الدراسة . وما بعد
الدراسة . ظل مستطيلا مستطيلا كالمنطاد أو الفاقوسة
فوق رقبة طويلة لم تسلم من يد الأيام
الهاصرة العاصرة . . . وفي القديم البعيد .
في الصبا كان يغضب ويشور ويحنق على نفسه

وعلى المجتمع عندما يعيره الصبيان باستطالة
رأسه ويصفونها بالمنطاد أو الفاقوسة . ويقولون
في نغمة موسيقية متزنة : (أب رأسين . الساعة
اثنتين) وفي القديم القريب . منذ
مابعد الصبا صار يفاخر برأسه وباستطالة رأسه .
ويقول في وثوق واعتداد وزهو وخيلاء :

• قالت الحياة : ماأندر الرؤوس المستطيلة
وقالت الحياة : ماأحمد العقول في الرؤوس المستطيلة ،
عينان شاذتان . تنقدان ذكاء تشعان نارا
ونورا . ترى فيهما مابقلبه من نبل وسمو .
وعزة وأنفه . وشفقة ومحبة ورجولة وإيمان .
ترى فيهما مابقلبه . وما أعظم وما أندر مابقلبه .
رأسه المستطيل . وعيناه الشاذتان . كل
ماذكرك بمختار القديم . ولولاها لجهله لأول

وهلة أقرب الاقربين إليه . . وما أقوى !
وما أقوى يد الايام في العصر والعصر والتبديل !
والتغير والقلب والتحويل !

ما أشقاه بقلبه . وما أسعده بقلبه . إسمعه
يناجي نفسه . ولا غير النفس يناجي البؤساء
المحزونون قليلا ما يجدون من يكتبون اليه . وإن
وجدوا فيها هيهات أن يجدوا من يتحدثون
إليه . . إسمعه يناجي نفسه :

لقد طال الليل يا إلهي حتى لقد كدت
أعتقد أن الحياة ليل طويلة . وأن الفجر
أسطورة الاساطير وأن الشمس خرافة الخرافات .
وأن النهار لا وجود ولا حقيقة ولا كيان له :
النور . . النور . . النور يا إلهي . . ظلمة القبر ولا
ظلمة الحياة . . الموت . . الموت . . الموت . .

ما أشقاه بقلبه !!

ظلمة القبر ولا ظلمة الحياة ..

إنها العزة . إنها الانفة . إنها الانفة والعزة .
ولكنه تطرف فيها .. على أن التطرف عظيم
وعظيم إذا قس بلا شيء ..

ولكن اسمعه يتابع حديثه صارخاً :

« لا . لا . مهلاً يا نفس . من يدري ؟ من
يدري ؟ من يدري ؟ فأمل كبير في رحمة الله
ورحمة الله وسعت كل شيء !! »

ما أسعده بقلبه !!

أمل كبير في رحمة الله !!

ورحمة الله وسعت كل شيء !!

إنه الايمان . والايمان القوى العظيم :

إنه ضوء قول ربه العزيز الحكيم :

(ولا تبيسوا من روح الله انه لا يبئس من

روح الله الا القوم الفاسقون)

انسان

ظهرت نتيجة امتحان شهادة البكالوريا لعام
 ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م . وكان مختار من الناجحين
 وقد كان من أسى آماله الالتحاق بكلية الحقوق
 بالجامعة المصرية . ولكن فقر والده المسن الذي
 يعمل في مصنع أجنبي من مصانع المدينة . خنق
 ذلك الامل العظيم . ولجده في صمت وهود
 وفوق قبره نبتت آمال . وأشرقت أماني . وحلقت
 أحلام . امال جديدة . وأماني جديدة . وأحلام
 جديدة .

نال مختار شهادة البكالوريا بين محيط واسع

من الآمال الحلوة . والاماني الشبيهة والاحلام اللذيذة
آماله هو كساب يتطلع الى المستقبل ويتأهب
الى الوظيفة والمرتب . وأخيرا نصفه الثاني . شريكته
في الحياة .

وآمال أسرته : والده الذي كاد ينضب معين
رزقه . وصار يتطلع إلى أن يوثق ابنه حبسه بحبله
ويسير به الى النهاية قبل أن يأتي على آخر حبسه
وقد كاد ووالدته التي تتلف إلى مرتبه لتوفر
منه ماتستعين به على جهاز إبتئها عند زواحيها ثم
خروجها لخطبه (ابنة المحرور) لولدها مختار ...
وشقيقتيه اللتين تتحرقان شوقا الى وظيفته ليساعدهما على
الجهاز عند الزواج .

وآمال الاقارب والاصهار والاصدقاء من بلده
في ريف الصعيد حيث وطنه الاول . ورملة

الاسكندرية حيث وطنه الثانى . وجل من قابله فى
حياته هنا وهناك . . . كانوا جميعاً يعلقون على نجاحه
ووظيفته ومرتبته وجاهه الآمال والآمال الكبار .
فلقد كان انساناً انسانياً .

ماكان مختار بشراً عادياً . وإنما كان انساناً انسانياً .

كان مختار انسانياً .
وما الانسان إلا نهر عذب طام ينحدر بين
الجيل والجيل من بحيرة رحمة الله الواسعة الواسعة
فيجرى على الارض بين الافئدة الصخرية والقلوب
الحجرية . وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ! .
وما الانسان الانسان إلا بصيص من نور الله يرسله
بين الجيل والجيل فينير الارض من ظلام الافئدة
وسواد القلوب . وان الافئدة البشرية لاشواك نبتت

من جوف الارض . وما أشد .. وما أشد
ظلام جوف الارض !! وإن القلب البشرى لملك
السواد فى مباراة السواد !!

وما الانسان الا كلفة الرحمة ترسلها بين
الجيل والجيل على الارض فتكفكف العبرات .
وتمسح الدموع . وتلطف النفثات وعلى شاطئ نهر
الحياة الجارى . وتحت ظلال الكروم . وبحوار
الورود والرياحين . وبين نغمت الجنان والحان
الفراويس . تريح الجميع . وتتلو عليهم : آيات
الحب . آيات الحكمة . آيات الحرية . آيات الرجولة
آيات العدل . آيات المساواة تتلو عليهم :

سورة الانشائية الكبرى .

ثم تعود .. ثم تعود .. وللاهم من بعد

عودها يعودون . . ولكنهم من بعد عودها يعودون
كان مختار إنساناً . ولكنه كان فقيراً . وما
المادة إلا سفينة الحياة . وما الروح إلا قائد السفينة
المادة والروح . والروح والمادة توأمان اثنان ولدتها
الحكمة . ليس لهما أن ينفصلا . وإلا غرقت السفينة
وابتلعتها أفاعى البحر . . وتعثرت الروح . وأدمت
قدميها ويديها صخور الشاطئ . وتخطفتها ذئاب
الـسـبـر .

كان فقيراً . ولكنه كان إنساناً كل رغباته
كل آماله . كل ما يريد أن يعيش من أجله هو إسعاد
الجميع . ولكنه كان فقيراً . لم يكن يملك الا (مصرفه)
الذى يعطيه له والده فينفق جله على البؤساء والمساكين
وما اكثر . وما اكثر البؤساء . وما اكثر . وما
اكثر المساكين كان يغضب ويثور ويحرق على

نفسه وعلى المجتمع لانه فقير . كان يضطرم كالمرجل
ويثور كالبركان لانه فقير .. كان اذا عجز عن
المساعدة المادية ينزوى في غرفته من الدار . او فصله
من المدرسة . أو حديقة من الحدائق العامة . أو جهة
من شاطئ البحر نادرة الطروق . ويندب حظـه .
ويبكي . ويبكي . ويبكي بحرقة ولوعه .. وما كان
يبكي بعينه .. وما كانت عبراته هي التي تسيل .
وإنما كان يبكي بقلبه .. وإنما كانت الدماء الساخنة
هي التي تنفجر من قلبه .. وإنما كانت النيران هي التي
تضطرم في مدينة جانبه الايسر . ويتكاثف دخانها
في صدره . حتى يكاد ينفجر . وما كان النسيم العليل
هو الذي يفرج عنه . ولا الورود والرياحين . ولا
الجمال والحسن .. وإنما شيء . وشيء واحد .. وشيء
واحد فقط هو الذي كان يفرج عنه :

أمر في رحمة الله ..

وكثيراً ما كان الناس يدعونه بالمحب البائس ..
ولكن من عرفوا طوية نفسه . ووقفوا على سريرة
قلبه كانوا يرثون له . ويعطفون عليه .. وكثيراً
مارثى له الدين هم أول من يرثى هو لهم . وكثيراً
ما كان يسمعهم يهيمسون :

« انساه انساني » . عظيم بقلبه .. مسكين .

مسكين . مسكين بقلبه .. البئر الحلو نازح راعماً ..
أطال الله عمره ومنحه الخير . وحقق آماله . ونفذ
أمانيه

نحو اليقظة

وفي أوائل خريف عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م
 حمل مختار شهادته . وبين طموحه الواسع المتمثل
 في هيئته المهيبة وهامته المرتفعة وأنفه الشامخ .
 وآماله الكبيرة المشرقة من عينيه المتقدتين .
 واعتداده بنفسه ووثوقه بربه المرفرفين على شفتيه
 في ابتسامة هادئة وديعة جميلة تكاد تكون
 طبيعية . راح يطرق الأبواب :

البلدية . الفنارات . الجرك . المحافظة
 وأودع في كل مصالحة من المصالح المتقدمة
 وأرسل الى المصالح البعيدة عن الاسكندرية كالبريد

والسكك الحديدية وغيرها طلبا بوظيفة تتناسب
وشهادته وكفاءته ومواهبه وطموحه وآماله .

وسمع في كل مصلحة من المصالح التي ذهب
إليها هذه العبارة :

« لا توجد وظائف خالية الآن . وسنرسل
إليك عند ما تخلو وظيفة ،

وكانت هذه العبارة كريح فجائية عاكست
سفينة آماله المنهادية في محيط الاحلام الواسع
الكبير في سكونه وهدوء لم يعرفا إلا عن محيط
الاحلام فاضطربت

واضطربت وزاد اضطرابها حتى أوشكت على
الغرق . ولكن سحر الآمال . . وللآمال سحر أى
سحر !! قام برسالتيه . فضعفت الريح . . .
وضعفت وزاد ضعفها حتى تلاشت كأن لم تكن

واطمأنت السفينة . واعتدلت وأخذت طريقها
الطويل الطويل المجهول المجهول . وسارت باسم
الله مجراها ومرسأها .

...

وأخذ مختار ينتظر وينتظر . وأخذت
الايام تمر وتمر . حتى انقضى الخريف . وأقبل
الشتاء . فشرع مختار في الذهاب والكتابة إلى
المصالح التي أودع فيها وأرسل إليها طلباته « لتحريك
طلباته » على حد تعبير والديه له صباح مساء :
« عليك يا بني أن تنشط . وأن تذهب
وتسكتب لتحريك طلباتك حتى لا تنسى »
وبدهياً لم ترد عليه المصالح البعيدة . أما
مصالح الاسكندرية التي ذهب إليها فإنه سمع
في كل منها هذه العبارة :

« لاتوجد وظائف خالية الآن . وسنرسل
إليك عند ماتخلو وظيفة ،

وكان الموكلون بالنظر فى طلبات الوظائف
غالباً مايعقبون تلك العبارة بعبارات أخرى متحدة
المعنى مع اختلاف فى اللهجة والنظرة وتباين
بسيط فى الاسلوب :

« لاتجهد نفسك يابنى فى المجيء إلى هنا
واطمنن فى دارك . وكن واثقا تمام الثقة من اننا
سنرسل إليك عند ماتخلو وظيفة ،»

ومنهم من كان يزيد على هذا بقوله :
« انا رجل (أسبور) يابنى وسأصارك بأن
ميزانية هذا العام ليس فيها وظائف جديدة .
فلن نطلبك إلا عند أحد أمرين : إما موت أحد
الموظفين . وإما فصله ،»

ومنهم من كان يزيد على هذا وذاك فيزيد
الطين بلة والداء علة بقوله :

« لا تظن يا بني أن طلبك هو الوحيد
عندنا . بل عندنا طلبات كثيرة جداً . وعندما
تخلو أية وظيفة نفحصها كلها ومن كان له حظ
نرسل إليه ،،

مسكين !! مسكين مختار !!

إنه يعود الى داره وبين صقيع الشتاء الشديد
ومطره المنهمر وريحه الباردة تضطرم الحرارة في
قوة وعنف بين جفني كل من عينيه وقد ظهرت
الدنيا منها ضيقة ضيقة مظلمة مظلمة أضيق وأظلم من
فوهة المسدس كل ما تسمعه منه . كل ما يملأ
رأسه . كل ما يملك عليه وجدانه . هو هذا
البيت الذي يترنم به ويكاد لا يعرف لمن هو . ولا

من أى بحر من بحور الشعر هو . مع تأويله لفظة

(مطيع) بلفظة (إنسان) :

(ألا ليس فيهم من فتي مطيع

ألا لعنة الله على الجميع)

الباخرة تمتلئ

- انصرم الشتاء . وأقبل الربيع .
- أقبل ربيع عام ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
- الطقس يعتدل .
- الحرارة تنمو .
- السماء تصفو .
- الأشجار تكتسى
- البذور والبراعم تنبت .
- الزهور تبتسم .
- القرنفل يضحك والورد والياسمين .
- المياه تعزف . والطيور تشدو . والنسيم يرقص :

جنود نيسان . جنود الربيع .

الجمال .. الجمال .. الجمال ..

الحب .. الحب .. الحب ..

الحياة .. الحياة .. الحياة ..

ترى كيف حال مسكيننا في الربيع ؟

ترى كيف حال مخنار في الربيع ؟

إن منجل اليأس على متانتها وقوة يد الزمان
الممسكة بها لم تقو على اجتثاث جذع شجرة آمال
مختار . ولا على نبش الارض من حولها . وإنما
كل ما قدرت عليه وبادرت بفعله هو تقويض الفروع
والاغصان . وبقي الاصل حياً سليماً ثابتاً حتى جاء
الربيع فاخضرت الشجرة وأنيعت وأرسلت الفروع
تلو الفروع والاغصان إثر الاغصان . ومتى كان

لمنجل اليأس أثر في قلب عامر بالإيمان ؟
وفي ظلال تلك الشجرة كان مختار يرتل
قول ربه العزيز الحكيم :

” ولا تدبُّوا من روح الله انه لا يبئس من
روح الله الا القوم الطافرون “

وأخذ يكتب إلى المصالح البعيدة ويطوف على
المصالح القريبة . فما ردت عليه المصالح البعيدة وما
سمع في المصالح القريبة غير العبارة المعروفة المشهورة
سوى أن رجل البلدية زاد عليها هذه العبارة . وهو
رجل احتفظ قلبه بزهرة من فردوس الانسانية :

” تعلم يا بني أن الاعمال تسكث في الصيف .
ومن الطبعي أن كثرة الاعمال تتطلب كثرة
المستخدمين . وبسبب ذلك إن شاء الله عدداً غير قليل

من المستخدمين في الصيف القادم . وارجو أن
أوفق الى خدمتك لوجه الله سبحانه وتعالى فاجعل
اسمك أول من سنطلبهم إن شاء الله للاستخدام
في الصيف القادم ،،

وطار المسكين فرحاً بهذا التصريح . التصريح
الخطير الذي سمعه . وراح يزفه إلى والده ووالدته
واخوته وأقاربه وصحبه وعارفه . ووصلت به الثقة
في ذلك التصريح الخطير إلى أن صار يزفه الى
كل من يجتمع به يعرفه كان أو لا يعرفه .
وأصبحت لفظة الصيف محور حديثه فكان يعد
هذا وذاك بالصيف وما سيحدث في الصيف
ويعني هذه وتلك بالصيف وما سيحدث في الصيف ...
وان الصيف لناظره قريب واضحى والد
مختار يفكر في الراحة والخلود إليها . . ولم

لا يستريح؟ ولم لا يتفياً في ظلال ولده؟ أليس هو الآن قد كبر في السن؟ أليس من حقه الخلود إلى الراحة وقد أنفق ثمرة جهاده الطويل وكفاحه العنيف في الحياة في تعليم مختار . ومختار هذا سيوظف في الصيف؟؟ وأخيراً أليس الصيف قادماً؟؟ وانحصر تفكير والده مختار وشقيقتيه في الجهاز . وراحه رب الاسرة . وأخيراً خطبة (إبنة الحلال) لمختار . . ولم لا ؟ أليس من حق شقيقتيه عليه فضلاً عن إنسانيته أن يساعدهما في الجهاز؟ أليس من حق والده عليه الخلود إلى الراحة وهو مصدر وجوده في الحياة؟ وهو الذي أنفق جل ثمرة كده في الحياة على المفتاح الذي فتح به قلبه فأشرقت منه الروح الجريرة؟؟ أليس كل أمانين السترة وراحة رب الاسرة والفرح بمختار؟؟ وأخيراً أليس

الصيف قادماً؟؟ وكان هو يفكر ويفكر تفكيراً
جدياً في إراحة والده وإستار أخته وتعليم أخيه
الصغير وأخيراً شريكة حياته . . أليس الزواج من نعم
الله الكبرى؟؟ أليس قلبه جائعاً وفي شدة جوعه ولم
يوفق إلى اليوم في الحصول على غذائه من طريق الحب؟؟
وليكن صريحاً . أجل ليكن صريحاً . أليست الرغبة
البهيمية تتأحج في جسده تأججاً عنيفاً هائلاً وقد ثبت
طويلاً أمام تيار الرغبة الجارف . وقد لا يستطيع أن
يثبت أمامه أكثر مما ثبت؟؟

وأخيراً أليس الصيف قادماً؟؟

تكدست الآمال . وامتلاّت الباخرة . وهيا . وهيا
وهيا إلى الصيف

صخور

جاء الصيف . وما أسرع ما تنقضى الايام وتنطوى
الليالى . وسمع مختار من رجل البلدية الطيب القلب العبارة
الآتية :

« لقد كنا صادقين يابنى فى كلامنا . وها هى ذى
المصلحة تطلب عددا من المستخدمين »

وبين رنين هذه العبارة فى سمع مختار وابتسامه قلبه
الذى تشع من عينيه وترقص فوق شفثيه وتضىء وجهه كله
أعقب الرجل عبارته تلك بعبارة أخرى :

« والخدمة (تمرجى) . أو مبخر . أو قاتل بعوض
أو..... »

وهنا اصطدمت السفينة بصخرة الاعمال فصرخ الربان:

« بكالوريا . ثقافة . شباب . مواهب . واعمل تمرجيا .

أو مبخرأ . أو قاتل بعوض ؟ ؟ »

فوقف الرجل وقد ابتسم ابتسامة تسيل منها الشفقة .

ووضع يده اليسرى على كتف مختار . وقال وابتسامته

تعطر الاثير:

« هدى من حدثك يابني . وتعقل . وكن رجلا في

الحياة . ولا تضعف امام الدهر . بل كن قويا امامه . فمن

تغلب عليه الدهر سحقته الليالي وذرتة الايام .

ماذا عليك لو اشتغلت تمرجيا أو مبخرأ أو قاتل

بعوض أو أقل من هذا ؟؟ ليس في هذا عيب مطلقا . بل

في هذا الرجولة والرجولة الصادقة الكاملة . وإنما العيب

كل العيب أن تقعد خاملا . عالة على غيرك . تزرع الآمال

الكثيرة وتحصد اليأس الوفير

وانت لاتجهل أن الحياة درجات . وأن شيئاً أحسن
من لاشئ . . . وكل يابنى حميذا حتى يأتىك التين ،،
كلت الرجل الطيب القلب فى واد ومختار فى واد
آخر . . .

ومن وراء الحرارة التى تلهب فى قوة وعنف بين
جفنى كل من عينيه جرت المناظر سراعاً:

السفينة فى دور الفرق ! !

ماذا يكون حال والده المسن لو علم بهذه النتيجة ! ! !

ماذا يكون حال والدته وشقيقته لو علمن بهذه النتيجة ! ! !

ماذا يعمل امام صيحات قلبه الجائع ؟

ماذا يفعل تجاه صرخات جسده الشائر ؟

ماذا يصنع أزاء أصحاب الآمال الكبيرة المتعلقة عليه

من بلدته فى ريف الصعيد حيث وطنه الاول ورمل

الاسكندرية حيث وطنه الثانى ؟

السفينة في دور الغرق ! !

...

لم يزد مختار على أن نظر الى الرجل الطيب القلب
نظرة امتنان وقال :

،، أشكرك : أشكرك ياسيدي على عواطفك النبيلة ..
ويؤسفني أن أقول لك : محال . محال . محال أن أفعل
هذا .. والسلام عليك ورحمة الله ،،

وخرج مختار بعد أن صافح الرجل الطيب القلب
بحرارة .

مسكين !! مسكين مختار !!

إنه يعود إلى داره ويكاد لا يعرف نفسه من هو ..
ويكاد لا يعرف إلى أي جهة يسير
أين آماله وآماله الواسعة ! ؟

أين أمانيه وأمانيه الكبيرة ؟ !
أين أحلامه وأحلام الشباب الهائلة ؟ !
مسكين !! مسكين مختار !!

إنه يتوود إلى داره والحرارة تضطرم في قوة وعنف
بين جفني كل من عينيه . وقد ظهرت الدنيا منهما ضيقة
ضيقة مظلمة مظلمة أضيق وأظلم من فوهة المسدس !!
مسكين !! مسكين مختار !!

ما هذه النيران التي تضطرم في مدينة جانبه الايسر ؟ !
ما هذه الازمة النفسية الخطيرة ؟ !
ما هذا الانقباض ؟ !

إن رثي المسكين تكادان تنطبقان !!
ما هذا الضيق الشديد ؟ !

إن أضلاع المسكين يكاد ينطبق بعضها على بعض !!
ما هذه الاثقال الهائلة الجاثمة على صدر المسكين ؟ !

ما هذا الجفاف ؟ !

ما هذه المرارة في حلق المسكين ؟ !

ما هذا الأسى العنيف المثل من عيني المسكين ؟ !

ما هذه الحرارة المضطربة في قوة وحدة بين جفني كل

من عيني المسكين ؟ !

مسكين !! مسكين مختار !!

يا له من مسكين !!

له الله من مسكين !!

بين الحلم واليقظة

وفي أواخر نفس الصيف وفر والد مختار من عمله
لكبر سنه . ولم تزد مكافأته على ثمانين جنيها أودعها لتوه
في صندوق توفير البريد على أن يقطع منها شهريا نفقة
الأسرة الضرورية حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

وكان مختار قد قطع في مدرسة الحياة شوطا لا يستهان
به . وصار يقدر فائدة العمل الحر حق قدرها . ويحلم بفتح
حانوت بدال . وكان يسعى للعشور على مكان صالح
لحانوته المزمع فتحه . ويقارن بين هنا وهناك . وهذه
الزاوية وتلك الزاوية . وهذا الشارع وذلك الشارع .
وهذا الحي وذلك الحي وأخيرا جاءت فكرة

المال فكانت رجة عنيفة أيقظته من غفوئه الهنيئة وقطعت
عليه حلمه الجميل .

وهنا كان والده يوفر من عمله ويقبض مكافأته
وسرعان ما تطلع إليها مختار . فعرض على والده فكرة
التجارة في عبارة يشع منها الأمل والثقة بالله والاطمئنان
إلى المستقبل . ولكن الوالد الشيخ رفض رفضا باتا وأوجس
خيفة على كنهه للعظيم فصاح في وجه ابنه :

« لا . لا . إلى البريد إلى البريد حتى يقضى الله أمرا
كان مفعولا »

واسترسل في تفنيد رأى ولده وكان منطقته أن التجارة
ذهبت بمال فلان وفلان . وطوحت بابن فلان وابن فلان
وهوت بفلان الثرى وفلان العظيم . وليس هو ولا ابنه
بأدرى من فلان ولا ابن فلان في التجارة وطرق التجارة .
وعبثا حاول المسكين إقناع والده الشيخ بنفسه أو بمن

كان يجمعهم لمساعدته على إقناعه . فالشيخ هو الشيخ .
والرأس هي الرأس . والجواب هو الجواب . والمنطق هو
المنطق .

تعصب قبيح . ولكنها عاطفة جميلة . ولكنها روح
كبيرة . ولكنه قلب نبيل .
له الله والد مختار !!

إنه لا يريد أن يغامر بمستقبل أسرته في ميدان التجارة
ويحرص الحرص كله على حياتها مدة هي كل ما يستطيعه
من أمن طريق حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً .
له الله والد مختار !!



البعث

• مرت الايام والالام، آخذاً بعضها بتسلايب بعض .

وحل صيف عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

من هذا المخلوق الغريب ؟!

من هذا الشاب الطويل القامة حتى الشذوذ ؟ النحيل

الجسم حتى لكانه خيال سار ؟! الشاحب اللون حتى لكانه

أحد مبعوثي يوم النشور ؟!

• إن له رأساً نادرة مستطيلة كالمنطاد او الفاقوسة . .

• إن له عينيْن غريبتين تشعان نارا ونورا . .

• أوه إن هذه الرأس تشبه رأس مختار . .

• أوه إن هذين العينيْن تشبهان عيني مختار .

ما أقرب الشبه بين هذا المخلوق الغريب ومختار ذلك
الشباب القوى العملاق . الرشيق الجميل . القمحي اللون .
ذى البشرة المصرية الصميمة . الشاب الجميل الجميل حتى
لكأنه نموذج حسن للشباب فى الذوق والتكوين الجسمانى .
دقق النظر .. أنظر إلى عينيه .. أتل ما فى عينيه ..
أتل ما فيها ..

أوه إنه هو .. إنه هو ..

إنه مختار .. هو بعينه ..

مسكين !! مسكين مختار !!

لقد غدا نموذجا للشقاء . خارطة للبؤس . هيكلا

للتعاسة .. يستعين به الدهر على القاء دروسه فى مدرسة

الزمان .. وما أثنى .. وما أثنى دروس الدهر .. وما

أعلى .. وما أعلى مدرسة الزمان ..

هذا هو مختار العرض . هذا هو مختار الجسم . أما

امختار الجوهر . أما مختار المعنوى فقد غدا أعظم ما يكون
تلميذ مدرسة الزمان . .

عظيم !! عظيم مختار !!

إن مختار أصحاب القلب الانسانى الكبير قد غدا
أبصر ما يكون تلميذ مدرسة الزمان بادواء البشرية وآلامها !!

عظيم !! عظيم مختار !!

إنه إنسان !!

...

لم يوفق مختار طيلة عامه إلى عمل ما على الرغم من
جهاده العنيف الجبار فى سبيل المرتزق . أما الثمانون جنيها
المودعة فى صندوق توفير البريد فلم يبق منها سوى بضعة
جنيهاات لا تكفى الأسرة أكثر من شهرين وبنات والد
مختار يكثرون من العبادة . وقد اتخذ له شبه معتكف فى
ركن من أركان الحجرة الوحيدة الحقةرة التى تقع فى آخر

الحديقة . وقد انتقلت اليها الاسرة منذ شهر تاركة (الفيللا)
الجميلة ذات الحجرات الاربع .

إمسك قلبك . امسكه جيدا . وحاول أن تغلق الخزان
أمام تيار الدماء الساخنة المضطربة في مدينة جانبك الايسر .
وحاول أن تسد الطريق أمام ينبوع الدموع المتدفق
وانظر :

أنظر اليهم أثناء النوم :

هذا والد مختار على السرير . .

هذا مختار على الكسبة . .

هذه والدة مختار وأمامها ولدها الصغير وابنتها على

حصير ومرتبة فوق الارض . .

انظر اليهم :

هذا أحدهم يريد أن يفتح النافذة . النافذة الوحيدة

الضيقة . ولو فتحة بسيطة خوفا من الاختناق . والآخر

لا يريد خوفا من البرد!!

هذا مختار يريد أن يطالع أو يكتب أثناء الليل .

فتجبره تنهدات والده حرصا على الغاز على إطفاء النور!!

هاتان الفتاتان الجميلتان اللتان كانتا قبله أنظار شبان

الحى ومطمح آمالهم جاوزتا سن الزواج المعروفة عند

طبقة الشعب البسيطة ولم بطرق باهما طارق .. إذ من أين

لها المال اللازم للجهاز عند الزواج!?

هذا شقيق مختار الصغير الذى لم يتجاوز العاشرة من

عمره قد ترك المدرسة والتحق بحانوت حلاق فى الجهمه ..

هذه والدة مختار تكاد تبكى دما على حظ ابنتيها

التاعستين .. وولدها مختار البائس .. وولدها الصغير

صبي الحلاق .. وزوجها المسكين ..

هذا مختار قد عرف بيدلته الرمادية . لانه لا يملك

غيرها . يغسلها ويكويها ويلبسها .. وتحتها ماتحتها!!

مساكين!! يا لهم من مساكين!! اللهم الله من مساكين!!

يقظة هائلة

ماذا ??

ماذا ينتظر مختار أكثر من ذلك ??

خمسة أنفار وهو السادس في عنقه وذمته ..

من أين يأتي لهم بالقوت إذا ما نفذت البقية الباقية من

الثمانين جنبها وهي في طريق النفاذ؟

إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .. ولا تمطر خبزاً

ولا أدماً

نعم .. ولكن ماذا عليه ؟!

إنه ليس خاملاً . ولا راضياً عن حالته . تلك . بل

إنه يؤدي واجبه أتم ما يكون أداء الواجب بين رموع الواقع .

وابتسامته الامل .. وقوة الایمانه ..

ماذا ؟!

ماذا يفعل ؟!

أينتحر ؟!

لا . . لا . . إنه ليس أنا نيا حتى ينجو بنفسه من

الدنيا ويترك خمسة أنفار بائسين ! !

إنه انسانه انساني ويرى في نفسه أنه خلق للجميع

فكيف يفتر من خمسة انفار ؟!

وأخيراً انه تلميذ مدرسة الزمان ومن الخطأ أن

يخسر الحياتين معا : الاولى والثانية

وقبل كل شيء ان قلبه الذي يقول :

« لقد طال الليل يا إلهي حتى كدت أعتقد أن الحياة

ليل طويل . . وأن الفجر أسطورة الاساطير . . وأن

الشمس خرافة الخرافات .. وأن النهار لا وجـود ولا
 حقيقة ولا كيان له .. النور ... النور يا إلهي ... ظلمة
 القبر ولا ظلمة الحياة .. الموت .. الموت .. الموت ...
 ان قلبه الذى يقول هذا فى دموع حمراء ساخنة هو
 قلبه الذى يكفكف الدموع . ويتابع الحديث صارخا فى
 ابتسامة حزينة :

« لا .. لا .. مهلا يا نفس .. » من يدرى من
 يدرى ! ؟

فأملى كبير فى رحمة الله ..

ورحمة الله وسعت كل شئ ..

انه مؤمن ومؤمن قبل كل شئ وأخر كل شئ ..

انه يوقع على قيامة قلبه نشيد الايمان الاعظم :

(ولا يئس من روح الله انه لا يئس من روح

الله الا القوم الظالمون)

ولكن .. ولكن لم يهرع إلى البلدية ؟ ألسنا في أول الصيف ؟ ولم لا يكون أقوى من الدهر ويعمل (تمرجيا) أو مبخرا أو قاتل بعوض أو أقل من هذا ؟ أليس هو الآن قد قطع شوطا كبيرا في مدرسة الحياة ؟

هرع مختارا إلى البلدية .. وكانت البلدية في صيف عام ١٣٥٦ - ١٩٣٧ م . تطلب عددا غير صغير من (التمرجية) لمستفياتها .

وصاح المسكين خريج مدرسة الحياة :

« تمرجي .. خدمة انسانية كبرى .. ومال .. ومال .. وخطوة لا بأس بها في الحياة ... »

واصطدم المسكين بحقيقة كان قد درسها في مدرسة الزمان وأنسته إياها نشوة الفرح ...

وهو أن جميع من تقدموا لأعمال (التمرجية) مصحوبون بتوصيات يختلف مصدر كل عن الأخرى :

..... يا باشا .. وزير

الوزير السابق بك ..

النائب .. مدير رئيس ..

المستتر المسمو .. الكونت .. الخ

رأى المسكين أنه لا يعرف أحداً من أمثال أولئك

الغضاة وليس والده بأفضل منه فاغرورقت عيناه بالدموع

لاول مرة منذ أن صار شابا يافعا وتهد تنهدة كادت تخرق

ضلعه . وتتم :

(بكالوريا . . شباب . . ثقافة

مواهب . . (تمر جي) . . واسطة ! ؟)

...

وسار المسكين أوهن ما يكون اليأس . وبالقرب من

دار البلدية همس في أذنه هامس قد وقف على طويته :

(اننى مستعد يابنى لان أخدمك بان أوصلك إلى ...)

باشا فيساعدك على طلبك)

ورن اسم الباشا فى أذنى مختار وهو اسم أشهر من نار

على علم فصاح بعينين تبتسمان :

(أحق ماتقول ??)

فاجاب الرجل :

(نعم .. ولا يخفى عليك أن أكثر من يعينون فى

أول الصيف يستغنى عنهم فى آخره .. ولكن مادام الباشا

ميكون واستطاعتك فانك حتما ستكون ممن سيثبتون)

وسارا صامتين قليلا وكل يفكر فى ليلاه . ثم تابع

الرجل حديثه فكانت قاصمة الظهر :

(ولكن شعار الباشا : (سلى واسلك) و (يا بخت

مه نفع واستففع)

فنظر اليه المسكين بقلب يخفق ووجه مستفهم وقال في
حشرة غنيمة :

(ماذا تنى ??)

فابتسم الرجل ابتسامة خبيثة وقال بعد أن تلفت حوالیه:
(أعنى أن تضع على الأقل خمس وريقات خضراء في
ظرف وتقدمه بنفسك الى الباشا فتكون الوظيفة ويكون
التثبيت . ويا بخت من . . .)

ولم يدع المسكين الرجل يكمل حديثه بل صاح في
وجهه وقد رأى أنه لا يملك الجنيهات الخمسة وليس في
استطاعته أن يملكها حتى من والده وتذكر على الفور
حركة مدرسة الدهر عند شرح تلك النقطة في مدرسة
الزمان فاشمأزت نفسه وصاح في وجه الرجل وكائن مختارا
القديم يلقنه : (بكالوريا . ثقافة . شباب . مواهب .
نمر بنى مقبر . واسطة . يا باشا محترم . رشوة !! ؟؟)

صوت السماء

وأخيراً قصد المسكين (محرم بك) مدينة المعامل
بالاسكندرية . فوجد المعامل متخمة وعلى أبوابها
جموع العاطلين ترحف من باب الى باب فى صخب
الاطفال وذلة العبيد

وبالقرب من أحد المعامل همست فى أذنه
امراة عاملة أشجاها منظر المسكين فأرادت أن تظهر
له شعورها نحوه قدر وسعها .

« إذا كان ولا بد يابى من دخولك المصنع فعليك
أن تتقدم إلى (الخواجه) المهندس بصفيحة سمن
(فلاحى) وزوج من البط . . . »

ولم يملك المسكين شعوره بل صاح مبتعداً عن
المرأة .

« صفيحة سمن وزوج من البط وعائتي لم تذق
اللحم منذ أسابيع والسمن منذ أشهر ! ؟
إيه . . إيه . . إيه يا زمان !

لعنة الله على بلد يجوع فيها أبناءها ويتخم فيها
الابناء الآخرون !!

لا كانت بلد تجميع جل أبنائها لأمس فقر . ولا
من ضيق . ولا من عوز وإنما من ضمائر دنفة
مريضة . ونفوس خبيثة ماكرة . وفوضى منظمة
منسقة . وعبودية مهذبة مزخرفة ! »

ونظر المسكين وهو سائر على شاطئ ترعة
المحمودية الى جموع العاطلين تزحف من باب الى
باب في صخب الاطفال وذلة العبيد . فضغط على

نواجذه . وتصلبت أوتار عنقه . وقدحت عيناه
وانفجر :

[إيه .. إيه أيها العبيد ..

إيه يا عبيد إفريقيا البيض ..

موتوا .. موتوا أيها العبيد فالموت أولى بكم ..

هيا .. هيا .. هيا إلى النهر فارموا بنفوسكم ..

لا .. لا .. بل موتوا على اليابسة .. فهاه النيل

أقدس من أن تدنسه أجسامكم . أجسام العبيد ..

أيها العبيد — لقد ضربت عليكم الذلة والمسكنة

وبؤتم بغضب من الله ولـكم في الآخرة ان شاء الله

عذاب عظيم ..

أيها العبيد .. إن ”

وعلى حين فجأة سمع المسكين صوتاً آتياً من عمق

أعماق قلبه فصمت :

.. مهلا .. مهلا يامختار ..
 .. إنهم مساكين .. إنهم مساكين ..
 .. إنهم رؤساء .. إنهم رؤساء ..
 .. إنهم يعيشون في ظلم مهذب مزخرف ..
 .. إنهم يهيمنون في فوضى منظمة منسقة ..
 .. إنهم يتخبطون في ظلام مدعم محكم ..
 إن نكبتهم عظيمة وعظيمه الى درجة أنهم يكادون
 لا يحلمون بالنور ..

ان راية الشعب لا يتقاي في صمغها الا اهر ابناء
 الشعب

ان حقوق المظلومين لا يأنس بها الا اهر أبناء
 المظلومين

ان مصالح الماكين لا يحققها الا اهر أبناء
 الماكين

فعليك .. عليك يامختار أن تحمل المشعل عالياً

لتنير لهم الطريق . وتسير بهم إلى ساحة النور .
حيث الحق . حقهم الطبيعي في الحياة ..

عليك أن تكرس شبابك ومستقبلك وحياتك لخدمة
هذا الشعب المسكين ..

لخدمة العاطل .. لخدمة الفلاح .. لخدمة العامل ..
لخدمة البؤساء ..

لحرمة الانسانية ..

نحور روح جديدة

وتحول مختار الى شاطئ الترعـة الشمالى وسار
مـيـمـا الرمل

وعلى شاطئ مياه النيل . . وفي ظلال الاشجار
الباسقة . . وبالقرب من الملاحين البؤساء الذين
يقضون الاسابيع والاشهر والشهور وسط الماء بين
البرد القارس والمطر المنهمر والرياح العاصفة شتاء
والشمس المحرقة والرياح الساخنة صيفاً بعيدين عن
نسائهم وأولادهم وذويهم نظير نفقة القوت الضرورى
لهم ولـمـن يعولونهم . .

وبجوار الجمالين المساكين الذين يقضون نهارهم

فى تفريغ ما بالمراكب أو شحنها من المثقلات كالرمل
والحجر والزلط والآجر والفحم وحمله على ظهورهم .
ظهورهم المنحنية أكثر اليوم . . من
المخازن المقابلة للترعة الى المراكب أو من المراكب
الى المخازن نظير قروش لا تزيد كثيرا عن
خمسة . . ووسط الشقاء المدلهم . . والبؤس الذى
يموج بعضه فوق بعض . . وبين الحرارة التى تضطرم
فى قوة وعنف بين جفنى كل من عينيه . . والنيران
التي تضطرم فى مدينة جانبه الايسر . . وأزمة نفسه
الخطيرة . . والاثقال الهائلة الجاثمة على صدره .
وجفاف حلقه والمرارة المنتشرة فيه . . أخذ يفكر
ويرسم الخطط ويضع البرامج :
« ألوف النساء يملأن المعامل . وآلاف الرجال
عاطلون .

الوف الفتيات يملأن الوظائف . وآلاف المتعلمين
عاطلون .

لم لاتعود المرأة الى البيت ؟
لم لاترجع المرأة الى ما خلقت له ؟
لم لاتعاد المرأة الى ميدانها الطبيعي في الحياة ؟
لا بد من عودتها الى البيت . .
لا بد من رجوعها الى البيت . .

لا بد من إعادتها الى البيت اذا كان في البلاد من
يريد بالبلاد خيراً .

أو على الأقل لتبقى المرأة في مالا يستساغ إلا
من المرأة . كالتمريض ونحوه . . وكل مالا يستساغ
إلا من المرأة . .

أزمة البطالة .

أزمة الزواج

أزمة الأمومة

أزمات ثلاث كل منها خطير .. يروح تحت أعبائها
العالم .. وكلها ناتجة عن مزاحمة المرأة للرجل في ميدان
العمل ..

إن أزمة الزواج عامل كبير في أزمة الاخلاق ..
وإن أزمة البطالة من أكبر عوامل أزمة الزواج ..
وإن مزاحمة المرأة للرجل في ميدان العمل أكبر
عامل في أزمة البطالة ..

تبحث المرأة عن الزوج . ولا تجده .. وتطرق باب
الزواج بقوة وعنف ولا يجيب !!
يفكر الرجل في الزوجة ولا يقدر .. ويرنو إلى
باب الزواج بحزن وألم ولا يقدر !!

وبعيداً بعيداً عن دار الزواج يلتقى الاثنان .. وبين
الثورة الطبيعية العنيفة والرغبة البهيمية الجامحة يرفرف علم
أزمة الاخلاق عالياً خفاقاً!!

هذا الرجل العاطل الجائع العازى المدين الاعزب إذا
وفق إلى عمل . وملاً بطنه . وكسى جسمه . وسد دينه .
ثم وجد فى يده الزيادة ألا يهرع بكليته إلى السعادة وأية
سعادة فى الحياة أكبر من السعادة الزوجية ! ؟

لابد من رجوع المرأة إلى البيت ..
لابد من عودة المرأة إلى ما خلقت له ..
لابد من إعادة المرأة إلى ميدانها الطبيعى فى الحياة ..
...

وانتقل التفكير بمختار إلى ناحية أخرى فأخذ يرسم
الخطط ويضع البرامج :
(ألف الاجانب يعملون وآلاف المصريين

لا يجدون العمل . .

ألوف الاجانب يأكلون اللحم والزبد والحلوى .
ويلبسون الحرير والصوف . ويسكنون القصور .
ويتمتعون بما تشتهى الأنفس وتلذذ الاعين . . وآلاف
المصريين لا يجدون الخبز والكساء والغطاء ويكادون
لا يجدون المأوى ! !

إلى أية هوة تردى القوم ببلادهم فأصبح الآلاف منهم
لا يجدرن الخبز والكساء والغطاء والمأوى ! ؟ فاصبح
الكثيرون منهم لا يقدرن حتى على التنهد والانهن جوعا .
فاصبح الكثيرون منهم يموتون جوعا وبرداً . . بينا هي . .
بيننا البلاد . . ليتداركها الله بعطفه ورحمته ! ! تقدم اللحم
والزبد والحلوى لأبناء غيرها . وتكسوهم بالحرير والصوف .
وتشيد لهم القصور . وتغمرهم بالملذات ! !

أنهار الصحف .. ويا لانهار الصحف!!
تجرى كل يوم بسفن الحوادث .. ويا لسفن الحوادث!
تزين كل سفينة واجتها باكليل الشرف والفخار ..
ويا لاكليل الشرف والفخار!!

وفي وسط الاكليل: (الشمع ٠٠٠)

وتزين ذيلها باكليل الشرف والفخار .. ويا لاكليل
الشرف والفخار!!

وفي وسط الاكليل: (... لضيء ذات بره)
إني مصري . ومصري صميم . وآلام أمي هي آلامي
ولكنني إنسان . وإنسان قبل كل شيء .. فمعاذ الله أن
أقول بطرد الاجانب من البلاد . أو خلعهم من وظائفهم
وإحلال الابناء محلهم .. وبهذا قد يقضى حق أبناء البلاد .
وانما شيء . وشيء واحد . وشيء واحد فقط . هو الذي

أريده : أن تكون النسبة بين العاملين المصريين والعاملين
الاجانب كالنسبة بين المصريين والاجانب ..

وانتقل التفكير بمختار إلى ناحية أخرى فأخذ يرسم
الخطط ويضع البرامج :

«آلاف الفلاحين يهجرون القرية ويهرعون إلى
المدينة . فيزيدون الطين بلة والداء علة.

إنهم يتنازعون البقاء وأبناء المدينة فيساومون أرباب
المعامل الاجرة مساومة شاذة حقيرة .

وهل هناك أشد وأحقر من منافستهم أجرة عمل اليوم
من عشرين قرشا صاغا متوسط ماكان يأخذه ابن المدينة
إلى ثلاثة قروش متوسط. مايطالبونه ! ؟

ولكن .. ولكن مهلا .. أليس من حقهم أن يعيشوا
كما من حق أبناء المدينة أن يعيشوا ! ؟

وهل الحياة الا تنازع للبقاء؟

على أن سرور اصحاب المعامل واعتباطهم بذلك عظيمان

جداً . . ولم لا ؟؟

أليس الورق الاخضر يتكدس في جيوبهم تكديساً

والذهب يسيل في ديارهم سيلاناً ؟

وأليست الرواية عالية قيمة ؟ فكاهية جميلة ؟ مسلية

جداً ؟ مضحكة جداً ؟ مفرحة جداً ؟ رواية العميد

المتنازعين الكسرة !! والانسانية ذات الظهر المنحني .

وعصا التوكؤ الواهنة والدموع الحمراء الساخنة المتدفقة !!

لا بد من عودة الفلاح الى القرية :

لا بد من إرجاع الفلاح إلى القرية ..

ولكن . . ولكن قبل كل شيء يجب أن تصلح القرية

يجب أن يرغب الفلاح في القرية ورغبته في الحياة ..

يجب أن يرفرف علم السعادة المادي على القرية عاليا

خفاقا . كما يرفرف عليها دائما ودائما أبدأ علم السعادة الروحي
عالياً خفاقا ..

وهل الحياة إلا المادة والروح . . والروح والمادة ؟؟

...

وانتقل التفكير بمختار إلى ناحية أخرى :

« عبث منظم . وعبودية مزخرفة !!

آلاف الجنهات في مصر تنفق في الكماليات وآلاف

المصريين لا يجدون الخبز !!

فوضى منظمة وعبودية مزخرفة !!

آلاف الجنهات تدرى في المرتبات الضخمة الهائلة

وآلاف المصريين لا يجدون الخبز والكساء والغطاء

ويكادون لا يجدون المأوى !!

عبث منظم . وعبودية مزخرفة !!

عضو برلمان إنجلترا الدولة التي لا تغرب الشمس عن

ممتلكاتها لاتصل مكافأته الشهرية إلى ثلاثين جنيها . وعضو
برلمان مصر الدولة التي هي يأخذ أربعين جنيها شهريا
ويطمع في الخمسين . . وشتان بين أسباب الحياة في البلدين!
فوضى منظمة وعبودية مزخرفة !!

آلاف الجنهيات تبعثر على أعضاء البرلمان . وتهوية
البرلمان . وتدفعه البرلمان . وتنسيق البرلمان . . وآلاف
المصريين لا يجدون الخبز والكساء والغطاء ويكادون لا
يجدون المأوى !!

أنهار الصحف .. وبالأناهار الصحف !!
تجري كل يوم بسفن الحوادث .. وبالسفن الحوادث!
تزين كل سفينة واجهتها بالكيل الشرف والفخار .. وبأ
لا كيل الشرف والفخار !!

وفي وسط الأكيل : (اتبحر ...)
وتزين ذيلها بأكيل الشرف والفخار .. وبالأكيل

الشرف والفخار !!

وفي وسط الاكليل : (. . لضيق ذات يده)

عبث منظم . وعبودية مزخرفة !!

غريبة .. عجيبة ..

ولكن لا غرابة ولا عجب فالنفوس هي النفوس:

نفوس اللئام الماكرين . ونفوس العبيد المستضعفين ! !

نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم يقول :

(ليس المؤمن من باب شبعان وجاره جائع !!)

وفي مصر .. مصر الاسلامية تبعثر آلاف الجنهات

في المراتب الضخمة الهائلة .. حتى .. حتى وواسفاه مرتب

رجل الاسلام الشهري يصلون به إلى العد بالمئات .. مئات

الجنهات .. بيد أن آلاف المصريين لا يجدون الخبز

والكساء والغطاء والمأوى !!

ملك البهره الانسانى العظيم يتبرع لامته بثلاث
مراتبه . ولم يجاره واحد . واحد فقط !! فى هذا الواجب
الانسانى العظيم !! «

...

وما وصل التفكير بمختار إلى هذا الحد حتى صرخ :
« مسا كين .. مسا كين .. مسا كين أيها المسا كين !!
لقد ضعتم أيها الايتام بين دجل اللثام !!
مسا كين .. مسا كين .. مسا كين أيها العبيد ..
مسا كين يا عبيد افريقيا البيض !! »

أيها الجوعى .. أيها العبيد .. يا عبيد افريقيا البيض
لقد جنيتكم على انفسكم بتهاونكم فى حقوقكم حقوقكم الطبيعية
فى الحياة فذوقوا جزاء ما تفعلون !!

أستحقون العطف والثناء أم تستحقون اللعنة ...

لا .. لا .. لا أيها المساكين !! إني احبكم واحبكم من
الاعماق !! وان قلبي ليتفجر دما من أجلكم !! وأعاهد الله
على أن أكرس شبابي ومستقبلي وحياتي من أجلكم !!
وانه الامل الكبير في رحمة الله !!

وانه الرجاء العظيم في قلب ملائكتنا العظمى !!

...

وهنا أخذ يرسم الخطط ويضع البرامج :
(لم لا تقتدى الحكومة بملايكتها العظيم في فعله الكريم ؟
لم لا تنازل عن ثلث مرتباتها ؟
لا .. بل لم لا تهوى بالمرتبات الضخمة إلى مائة جنيه ؟
لم لا تهوى بالمكافأة البرلمانية من أربعين جنهما إلى
عشرين ؟

على الحكومة أن تنزل بالمرتبات الضخمة إلى مائة

جنيه ولا تزيد عليها بأى حال من الاحوال . لاية وظيفة
كائنة ما كانت ..

على الحكومة أن تنزل بالمكافأة البرلمانية من أربعين
جنيها إلى عشرين مادام النائب لا يكتفى بشرف النيابة
ويرى أن البرلمان مورد من موارد الارتزاق ..

على الحكومة أن تضيف نصف ما ستوفره من
جاء هذه الحركة إلى مالية الدفاع الوطنى . وما أكثر وما
أكثر ما ستوفره . وما أكثر الآلاف التى ستوفرها من
جاء هذه الحركة . . . وتوزع من نصفه الآخر على من
سبقى عاطلا بعد معالجة البطالة بالعلاج الناجع . والاسر
الفقيرة الكثيرة العدد وإن كان فيها من يعمل . حتى
يتساوى الجميع فى نيل حقهم الطبعى فى الحياة . وحتى لا
يعرف الجوع والعرى الطريق إلى أحد .

وعليها أن تجمع أسماء العاطلين وتنظمها. وعند
خلو عمل من الاعمال تدعو إليه من أتى دوره حتى
تقضى على جرائم الرشوة والمحسوبية في ميدان
التوظيف .. وحتى لا يقول قائل : إن العدل في
إعطاء العاطلين المساكين والفقراء البائسين حقهم الطبيعي
في الحياة مجلبة للتواني والخنول . . .

وعليها أن تجمع أبناء الشوارع وبنات الشوارع
وتهيء لهم أسباب الحياة..

وعليها أن تجعل للفلاح نصيبا كبيرا في ذلك .
ولكن عن طريق لا يجعله يلجأ الى البطالة والخنول
والتواني والكسل بان تخفض ايجار الارض . وتخفف
الضرائب . وتمنحه ولو لسنوات محدودة السماد والبذور .
وتعنى بالقرية ولا سيما من الناحية الصحية وتهتم بتعليمه

على أن تجعل منه فلاحا مثقفا قبل كل شيء .

على الحكومة أن تفعل كل ذلك .

على الحكومة أن تعمل قبل أن يستيقظ الناصم

وينتبه الغافل . وينفجر البركان . وإلا فالويل كل الويل .

وإلا فليتدارك الله البلاد بعطفه ورحمته .

على الحكومة أن تفعل كل ذلك إذا كانت تريد بالبلاد

خيراً

وعندها . . . وعندما ستنفذ ذلك سيعيد التاريخ

نفسه .

ويقف الملك الفاروق وبوجه يعكس ابتسامة قلبه

يقول كما قال أمنمحات الأول فرعون مصر منذ خمسة

آلاف سنة :

(للمباح تحت مكي ولا ظمآنه في أيامي . .)

وكان مختار . وكان مختار المسكين .. وكان مختار
العظيم .. وكان مختار الانسان يقارن بين كل فكرة
وأخرى . وبرنامج وآخر . ومجهود وآخر . ونتيجة وأخرى .
وكنبي كان قلبه يتبسم .. وعيناه تشرفان من قلبه
المبتسم .. وشفته تستمدان الابتسام من قلبه المبتسم ..
ووجهه كله .. ونفسه .. كلها .. وروحه كلها . وجوه
كله .. ينم عن قلبه المبتسم . .

وما أحلى .. وما أحلى ابتسام القلوب !

وكنبي كان قلبه يبتسم عند اطمئنانه إلى كل برنامج وآخر .
أليس انسانيا ؟ !

كلمة الرحمة عند اشتداد العذاب ؟ !

نحو ميدان جديد

وبعد مسير طويل . وجهد جهيد . ومشقة هائلة وصل
 مختار إلى الرمل . ثم الى شارع سكنه . وقيل أن يصل
 إلى منزله شاهد سيارتين تقفان أمام الباب الكبير . وقيل
 أن ينزل منهما أحد كان هو قد أسرع نحو الباب
 الصغير وهنا نزلت من أولى السيارتين السيدة عزيزة هانم
 صاحبة المنزل التي تسكن حياً آخر . وأعقبها رجل وامرأة
 وفتاة في ربيع حياتها يفوح منهم عبير الثروة الضخمة
 والجاه العظيم . . ونزل من السيارة الاخرى ثلاثة من
 الخدم : شاب وفتاة وولد . وأنزلوا منها أربع حقائب

مختلفة الحجم . . ثم نقد الرجل السائقين أجرتهما وانصرفا
 ولم يقدر مختار على تهريب عينيه من عيني السيدة
 عزيزة هانم . وهي تحترمه . وتجله . وتنطف عليه وتحبه
 كأحد أبنائها . فابتسم لابتسامتها . واقبلت عليه تحييه
 فصافحها وهمست : « أسرة صديقتنا من اعيان الريف
 قدمت إلى الاسكندرية للاصطياف وستسكن (الفيلا) »
 وبقدر أسفه على سكن (الفيلا) التي كان يؤمل أن
 يرجع بأسرته اليها متى وفق إلى عمل شعر بفرح غريب لم
 يدرك مصدره . بل وسرعان ما قوى هذا الفرح . وقوى
 بشكل غريب . ولاشئ الاسف كأن لم يكن .
 وقدمته عزيزة هانم إلى الرجل بقولها :

« حضرته مختار افندي يحمل شهادة البكالوريا ومثقف
 ثقافة عالية ، . وقدمت الرجل إلى مختار بقولها :
 « وحضرته فواز بك أبو الذهب ،

ورجت عزيزه هانم مختارا أن يأتي بالمفاتيح من عند
والدته بعد السؤال عنها وإبلاغها تخمينها وإخبارها بأنها
ستقابلها . ففتح مختار باب الحديقة الصغير وأسرع إلى
آخرها حيث حجرة أسرته . وما هي إلا هنيهة حتى عاد
بالمفاتيح وهو نشط أبلغ ما يكون النشاط . وأنساه فرحه
الغريب عناء يومه هذا المشهود . وتقدم مختار ففتح باب
الحديقة الكبير ودخل والباقون ثم تقدم إلى باب البيت
ففتحه وأخذ الخدم يدخلون الحقائق . . . وتطور فرح
مختار الغريب إلى شيء أغرب منه وهو دقات قلبه دقات
متوالية تشتد وتعنف كلما سنحت له عفوا رؤية ربه ابنه
فواز بك . . . واستأذن مختار (البك) في أن يأتي لهم
بمقاعد فتمنع (البك) شاكرا ولكن عزيزة هانم شجعت
مختارا على تنفيذ فكرته . وأمرت الخادم الصغير بالذهاب
مع مختار لاحتضار المقاعد . . . وبعد برهة قصيرة عاد

يحملان ستة مقاعد . ثم ذهب مختار وحده وعاد عاجلا
يحمل منضدة .



وقبيل أن تعود السيدة عزيزة هائم الى دارها أوصت
كلا من أسرة دختر وأسرة فواز بك بالاخرى خيرا .
واستصحب فواز بك خادمه الكبير لشراء ما يلزم
من أثاث ضرورى . ودخل مختار الى مسكنه . وبقيت
والدة مختار وابنتاها مع زوجة فواز بك وابنتها .

في ميدان القلب

من قال ان مجاعة القلب أهون من مجاعة البطن أو مثلها؟
ومن قال إن غذاء القلب أيسر من غذاء البطن أو مثله؟
لقد ذاق مختار الامرين من مجاعة قلبه !! ولقد ذاق
الامرین فی البحث عن غذاء قلبه !!

بينما الصخور تهشم قدميه يصرخ قلبه : الغراء الغراء
بينما النيران تلتفح وجهه يصرخ قلبه : الغذاء .. الغذاء
بينما رياح الخريف تسقط أوراق شجرة آماله يصرخ
قلبه : الغذاء .. الغذاء . .

بينما ثلوج الشتاء تهم بغمر شجرة آماله يصرخ قلبه

الغذاء . . الغذاء .

بينما هو يفكر في ما تكون عليه حال أسرته إذا ما زالت الجنيهاات
القليلة الباقية في صندوق توفير البريد ولم يوفق إلى عمل
فيشاج جسمه . . ينقبض صدره . . وتندلع النيران في مدينة
جانبه الايسر . وتلتهب الحرارة في قوة وعنف بين جفني
كل من عينيه يصرخ قلبه : الغذاء . . الغذاء . .

بينما هو يفكر ويرسم الخطط ويضع البرامج لرسالة
الروح الجريئة يصرخ قلبه : الغذاء . . الغذاء . .

مسكين !! مسكين مختار !!

انه يبحث عن الحب ويجد في البحث عنه ولا يقل
جهاده في سبيله عن جهاده في سبيل العمل . ولم لاقى من
الالم في سبيله أضعاف أضعاف ما لاقى من الالم في سبيل
العمل . . وما كان نصيبه في الحب بأحسن من نصيبه في العمل !

مسكين !! مسكين مختار !!

لقد كان فتيات الحى يرغبن فيه . ويتحدثن عنه .
ويتهاكن عليه . . وما كان أيسر عليه أن يوفق فى هذا
السبيل لو أنه وهب قليلا من الشجاعة فى ميدان المرأة ..

مسكين !! مسكين مختار !!

إنه مع جراته النادرة وشجاعته الفذة فى جل الميادين
أجبن من عرفته مدرسة الزمان فى ميدان المرأة ..

ولم يك مختار يبحث عن الحب فى فتاة معينة . أوروحي
معينة . أو قلب معين . وإنما كل ما كان يدين به :

الحمال والحب . . والحب والحمال . .

على أنه كان يعتقد أن القلب لا يمكنه أن يحمل أكثر
من حب واحد فى آن واحد .

فكان من الطبيعى أن يحب مختار رجاء . وأن تبلغ به
مجاورة قلبه العميقة إلى أن يتهالك فى حبها .. ولكن .. ولكن

من أين لا أجبن رجل في ميدان المرأة عرفتة مدرسة
الزمان الشجاعة لان يفتحها في أمر حبه لها ولو تحت قناع
الليل في الحديقة المشتركة بينهما أو كتابة !!

مسكين !! مسكين مختار !!

حتى الحب لم يوفق فيه !!

وحتى قلبه لم يدعه لميدان واحد !!

لقد أحب مختار رجاء . وأحبها حباً قوياً غنياً جارفاً

عميقاً . ولكنه لم يقو على أن يبشأ حبه لها وغرامه بها
كان يكتب لها . ويسكب عصارة قلبه في ما يكتب .

ولكنه لم يكن يقوى على إيصال ما يكتبه لها إليها !!

كان في بادئ الأمر يغير ويبدل . وينقص ويزيد .

وينقل ما يكتب من ورقة الى ورقة . ويفاضل بين هذه

وتلك من حيث الخط والذوق والتنسيق ثم أخذ يكتب

كل يوم رسالة جديدة ... وكثيراً ما كان يمشى في الحديقة

وبتلو رسائله بصوت مسموع يترك لعاطفته فيه العنان .
ولكنه ما يكاد يلح رجاء حتى يفقد كل قوة على القراءة
بصوت مسموع . بل القراءة مطلقا . غير أنه كان يتابع
سيره دون أن يحول نظره عن أوراقه

ولم يذكر مختار أن عينيه تقابلتا وعيني رجاء إلا في
مرآة أو من وراء زجاج . أو من ثنايا الاغصان .
ولم يذكر أنه حقق النظر منها إلا في الليل حيث يكون
هو في الظلام وتكون هي في النور .

ولم يذكر أنه تبادل وإياها أية كلمة حتى التحية المعتادة
وعاد اليه شيء من خيال مختار القديم فأخذ يرسل إليها
المجلات القديمة والكتب مؤملا أن تفتح هي الباب فترسل
إليه بين ما ترده كلمة حب أو على الأقل كلمة شكر فيكتب
هو إليها ... ومن هنا قد يقدر على ما عجز عنه طويلا .
ولكنها كانت ترد ما تقرأ مصحوبا بكلمة شكر شفوية مع
الرسول ليس إلا

الفجر يسفر

وساعدت خدمات أسرة مختار لأسرة رجاء مع
 الجوار. بينهما على إيجاد الالفة والمودة والمحبة بين الاسرتين
 وساعدت أحاديث السيدة عزيزة هانم المرأة الطيبة القلب
 عن مختار ومواهبه وكفاءته ومقدرته ورجولته وإنسانيته
 على قوة حب أسرة رجاء وإجلالها لمختار . .
 وابتسمت الحياة . وأسفر الفجر عن وعد فواز بك
 والد رجاء والسيدة خديجة هانم والدتها بتعيين مختار وكيلًا
 للأسرة على دأثرتها واعتباط رجاء بذلك
 كان هذا في أواخر يونيه . وموعد انتقال أسرة رجاء
 إلى الريف في أوائل سبتمبر ككل عام . وليس ما تملكه

أسرة مختار في صندوق توفير البريد بكاف أكثر من شهر
فأخذ والد مختار يقتصد ابلغ ما يكون الاقتصاد واخذ
مختار يبدي الرجولة أسمى ماتكون الرجولة بنسيان الذات
بين والديه واخوته . قليلا ماكان يتناول أكثر من وجبة
في اليوم .. وكان لمجاعة قلبه أثر كبير في نفسه فكان جل
شعوره متجها إلى رجاء ورجاء وحدها . يخرج متى خرجت
ووالديها . ويذهب حيثما ذهبوا .. يتنقل وراءهم من
مصطاف إلى مصطاف . ومن مكان إلى مكان يراهم ولا
يروونه .. ولم يكن همه من هذا إلا محاولة تغذية قلبه الجائع
بالنظر إلى من يحب أكبر وقت مستطاع .

وكانت مدرسة الزمان قد أثرت في نفسه تأثيراً
كبيراً فلم يحاول الخروج معهم في يوم من الايام لان بزمهم
لا تتناسب وبزته . ولو كان عنده بدلة غير بدلاته الرمادية .
أو لو لم تكن هذه بالية على الاقل لمحاول الخروج والتنقل معهم !!

وتوالت الايام على هذا المنوال حتى يوم الخميس ٢٨
جمادى الآخرة ١٣٥٦ هـ - ٥ أغسطس ١٩٣٧ م . يوم
حلول الملك الفاروق بعاصمة ملكه الثانية بعد تنويعه بأسبوع .
وبكرت أسرة رجاء فى الذهاب إلى المدينة واحتلت
ثلاثة مقاعد فى صالة بشارع من الشوارع المتفق على أن
يخترقها الموكب الملكى فى طريقه الى سراى (رأس التين)
العامة . . وكان مختار يعلم تلك الارادة فعزم على أن يكون
بين الجموع التى ستحتشد أمام تلك الصالة حتى يشاهد ملكه
الفاروق . ويكون فى الوقت ذاته قريبا من رجاء .

كان هذا عزم مختار . . ولكن . . ولكن المدينة
بعيدة وأجرة المواصلات بينه وبينها عشرة مليات . وهو
لا يملك عشرين مليا أجرة ذهاب واياب . ومن أين له أن
يمسكها ؟! واذا ملكها أليس شراء خبز بها فى يوم من هذه
الايام العصيبة ذى وجبات ثلاث لاختوته الثلاثة والديه

أولى مما يريد؟! ولكن.. ولكنه لم يفطر اليوم. ومن حقه
أن يفطر. وعليه أن يسرف اليوم في قيمة فطوره من أجل
أداء واجب الاحتفال باستقبال ملكه. ومشاهدة رجاء
أكبر وقت مستطاع. فيجعل قيمة فطوره اليوم عشرة
مليمات ويحتشد في أخذها نقداً. ويذهب إلى المدينة ماشياً
ويعود راكباً!!

مسكين!! مسكين مختار!!

مجاعة القلب ومجاعة البطن!!

ومن قال إن مجاعة القلب أهون من مجاعة البطن أو مثلها؟!

مسكين!! مسكين مختار!!

يا له من مسكين!!

له الله من مسكين!!

نموذج فلاحى

وفى الوقت الذى تحرك فيه مختار على الأقدام . بين
 ابتسامة ودموع . من الشرق إلى الغرب . من رياض
 الرمل . من ضاحية الاسكندرية العامرة إلى المدينة . تحرك
 موكب صاحبة الجلالة الأنسانية على الأقدام . بين ابتسامة
 ودموع . من الغرب إلى الشرق . من صخور المسكس . من
 ضاحية الاسكندرية الموحشة إلى المدينة

وجلس مختار للراحة أكثر من مرة فى طريقه إلى
 المدينة . وكانت آخر جلساته فى حديقة الشلالات . وقد أنهكه
 التعب وأوهنه الجوع . فارتقى على مقعد . وبمشقة مدرجليه .
 وحل أزرار (جاكتته) . ونزع طربوشه . وحل رابطة

عنقه والزر الأعلى لقميصه . وهنا اشتدت
 صرخات أمعائه فقام بمشقة وضغط على بطنه بتضييق دائرة
 حزامه وهو يعرض شفته السفلى . . ولكن . . ولكن أنى
 لأمعائه السكوت وهي لم تذوق طعاما منذ ظهر أمس فضلا
 عن مشقته الهائلة في السير ؟ فأخرج المسكين قطعة القرش
 الصاغ المعدنية من جيبه . وأخذ يقلبها ويفكر . . وأهتدى
 به التفكير إلى أن يشتري بنصف القرش الصاغ طعاما حتى
 يستطيع أن يمسك صلبه . ولا سيما والساعة الآن العاشرة
 والنصف وموعد وصول صاحب الجلالة الملك الفاروق
 الساعة الثانية عشر وعليه في الأيام إلى الرمل أن
 يقطع نصف المرحلة ماشيا ونصفها الآخر راكبا بالنصف
 القرش الباقي . . وكانت تقف بالقرب منه عربة تباع الطعام
 فهم بالذهاب إليها لشراء (ساندوتش) . . وهنا طرق سمعه :
 :— خضرة. تشجعي إنك لم تذوقي الطعام منذ صباح أمس !!

— : لا على يا عبد الغفار . وإنما مبروكة ! وإنما —

مبروكة لم تذق الطعام منذ ظهر أمس !!

— : لها الله يا خضرة !! هات . هاتها . هاتها أحملها

عنك فانت ضعيفة !!

— : دعها . دعها إنها نائمة . وربما كانت تحلم بالطعام

فلا نحرمها الحلم وقد حرّمها الزمان الحقيقة !! وليقوّن الله

يا عبد الغفار !!

— : نعم ليقوّن الله يا خضرة !!

— : ألم يكن من الخير يا عبد الغفار أن نبقي في القرية

بين الأهل والأقارب ولا نأتى بلاد الغربه ؟!

— : خضرة . لا ندوّنى بلهاء . كيف نبقي وقد أخذ العمدة

وغيره من الدائنين البهائم والمحصول ؟! وأين نبقي وقد

طردنا المصرف من الدار ؟! وعند من نبقي وحال الجميع

تكاد تكون سواء ؟! لنا الله يا خضرة !! هات . هات مبروكة

أحلمها عنك فلن تقوى طويلا على حملها !!

— : أمى . أمى . أبى . أبى . أنا جائعة أنا جائعة

وكانت هذه الكلمات صرخات الطفلة وقد استيقظت عند ما هم والدها بحملها فانتبه مختار من ذهوله وهزول نحو تلك الاسرة . وكان يفصلها عنه حاجز من الشجيرات الكثيفة الاغصان المتشابكة بعضها ببعض . فرأى أحمدق نموذج لاسرة الفلاح المصرى ورجعت به لذكرى إلى الماضى عند ما كان يسافر إلى بلده فى ريف الصعيد ويرى مصدر هذا النموذج الصادق الكامل وجرى كأنشط مايكون الفتى نحو عربة الطعام . واشترى بالقرش الصاغ والقرش الصاغ كله ثلاثة أرغفة صغيرة وقليلامن (الفلافل) وكأنه على جناح ملاك طار نحو تلك الاسرة ووضع بين أيديها ما اشتراه وسار دون أن ينبس ببنت شفة .

عظيم !! عظيم مختار !! انه إنسانى !!

وسار مختار يفكر في ذلك الصوت الذي سمعه يوم
أن كان يطرق باب المعامل . فرأى أن مؤاخاة البؤس بين
العامل والفلاح والعاطل أقوى بكثير وكثير من مؤاخاة
الدين والوطنية بينهم ... وها هو ذا الصوت يعود من جديد:
• إنهم مساكين • • • • • إنهم بؤساء • •
• إنهم تعساء • • • • • إنهم يعيشون في ظلم مهذب مزخرف • •
• إنهم يهيمنون في فوضى منظمة منسقة • • • • • إنهم يتخبطون
في ظلام مدعم محكم • • • • • إن نكبتهم عظيمة وعظيمة إلى
إلى درجة أنهم يكادون لا يحلمون بالنور • •

إن راية الشعب لا يتفانى في حملها إلا أحرأبناء
الشعب • • • • • إن حقوق المظلومين لا يأتى بها إلا أحر
أبناء المظلومين • • • • • إن مصالح المساكين لا يحققها إلا أحر
أبناء المساكين • • • • • الخ • • • • • »

ابتسامة

وفي الساعة الحادية عشر والرابع كان موكب صاحبة
الجلالة الانسانية يخرق جمافل الشعب الى مختار الواقف
على الطوار الآخر المقابل للصالة التي تجلس فيها أميرة
رجاء يطل قلبه من عينيهِ على رجاء الجالسة بين والديها
في المقاعد الامامية . ويطل الجوع والتعب والوهن من
جسمه كله وقد أخذ يستريح على قدمه اليمنى تارة وتارة
على قدمه اليسرى وطوراً على الحائط !!

مسكين ! مسكين مختار !

مشقة كبيرة وجهد بليغ واعياء هائل !

فضلا عن مجاعة القلب ومجاعة البطن !! وكلاهما خطير !

على أن مجاعة القلب أخطر من مجاعة البطن بكثير
وكثير !! ... مسكين !! مسكين مختار

مدفع الظهر يطلق .

القطار الملكي يقف بالمحط .

المدافع تطلق

القلوب تحف . وتطلق الهتافات فتتلقفها الحناجر

وترسلها داوية مجلجلة :

« بحيا الملك »

وفوق بساط من الولاء عريض . ووسط سياج من

القلوب منيع . وتحت ظلال من الارواح وارقة . وبين

أريج عبق ذكي منتشر منبعث مما يجري في العروق من دماء

الفراغة الخالدة وما يتموج في الصدور من أنفاس العرب

المجيدة . سار الملك الفاروق إلى سرايه العامرة (رأس التين)

وعند ما أشرق موكب صاحب الجلالة الملك الفاروق

على المكان الذي يقف فيه موكب صاحبة الجلالة الانسانية

أعضاء الابتسامات في موكب الانسانية .. وعندما اقترب

الموكب من الموكب فرج موكب صاحبة الجلالة الانسانية
الصفوف نحو موكب صاحب الجلالة الملك الفاروق .

وقبلت الانسانية الفاروق بين عينيه وهتفت في ابتسامه:

تحيا الروح الكبيرة

وعادت وهى تهمس همسة تفتح لها قلب مختار.

هنا محط الامل

وقبلت الحرية والحكمة والحب الفاروق بين عينيه.

وهتفت الحرية في ابتسامه :

تحيا النفس العالمة

وهتفت الحكمة في ابتسامه:

يحيا العقل الجميل

وهتف الحب في ابتسامه :

يحيا القلب النبيل

وعدن وهن يهمسن :

فهناسر الابتسامه .. ترى ماسر الدموع!?

دموع

أسرة رجاء في طريقها الى محطة. ترام الرمل .

مختار في اثرها .

موكب الانسانية في أثر الجميع .

أسرة رجاء تعرج في طريقها الى المحطة على تمثال سعد زغلول .

مختار في اثرها .

موكب الانسانية في أثر الجميع .

هاهو ذا تمثال سعد زغلول تحت ستاره والعمال من

حوله منهمكون في تنسيق قاعدته .

الجماهير تحي التمثال في خشية ووقار ومهابة واجلال .

الموظف . العامل . التاجر . الطالب . العاطل .

الفلاح . المتخم . الجماع . . . الخ الكل يحيون التمثال .

هاهى ذى أسرة رجاء بين من يحيى التمثال .
وها هو ذا مختارين موكب الانسانية

أسرة رجاء فى طريقها الى محط ترام الرمل .
مختار فى أثرها .

موكب الانسانية فى أثر الجميع .
تطور غريب فى نفسية مختار .

لقد عرفناه أبعد ما يكون عن محاولة الاختلاط
باسرة رجاء خارج المنزل . ولكن .. ولكن ..
الاعياء منه كل مبلغ وشعر بالخطر المحقق به وعز عليه أن
يقضى قلبه فى مجاعته الهائلة .. وعز عليه أن ينطفىء
السراج الوحيد لوالديه واخوته .. وعز عليه أن يقضى
دون أن يؤدى رسالته . رسالة الروح الجديدة .. ورأى
ألا منجاة له من الهلاك المحقق به الا باللحاق بأسرة رجاء

فحاول الاسراع نحوها . ولكن ساقيه اللتين خدمته
طويلا بكل اخلاص لم تقويا الان على متابعة خدمته حسب
ما يريد . فهم بمناداتها في الشارع . . وناداهما فعلا بكل ما
في صوته من قوة . ولكن صوته لم يكن أسعد حظا من
صوت النائم سلط عليه كابوس مخيف . فاخذ ينزع قدميه
من الارض نزعا . ويجر جسمه جـرا . وحاول الشد
من جسمه بتضييق دائرة حزامه حول بطنه فلم يقو حتى
على الاتيان بالحركة . والتفت نحو التمثال بمشقة . ونظر
باشمئزاز وغضب الى الجماهير التي تحنى الهامات أمام
التمثال وقال في صرخة لم تقو مادته على تكييفها :

(ايه يا عبید أفريقيا البيض !!)

آلاف الجنیحات تنفق على اقامة تمثال وأنا أوشك
على الموت جوعا ؟ وهناك . وهناك آلاف من اخواني
المصريين لا يجدون الخبز والكساء والغطاء والمأوى !

حقا . حقا انه لعبث منظم و عبودية مزخرفة !!

وأخيرا وصل المسكين الى محط الترام . وكانت أسرة
رجاء قد ركبت عربة (باكوس) ولم تزل العربة واقفة
وشاهدت رجاء مختارا يجتهد في شق الصفوف نحو العربة
فابتسمت . ابتسمت رجاء لأول مرة لمختار . وكان قلب
المسكين يرقص رقصة الذبيح فلم تضعف عيناه للمرة الاولى
عن الثبات امام عينيها طويلا ! ! ونبت رجاء والديها اليه
فابتسما له وأخذا ورجاء يهيمون له مكانا . ووصل مختار بعد
لاى الى العربة . ولكنها كانت قد بدأت تسير وانتظروا
أن يركب مختار العربة وهى سائرة كعهدهم بالشباب .
وكانت لا تزال تسير ببطء . ولكن . ولكن مختار لم
يستطع الا تيان بحركة ما !!

وبين يدي صاحبة الجلالة الانسانية . وبين وصيفاتها

الثلاث الحب والحكمة والحرية سقط المسكين .

وفي جهد بليغ ومشقة هائلة نطق المسكين :

«وداعا رجاء..»

في رعاية الله امي وأبي ..

في رعاية الله اخوتي ..

في رعاية الله أمتي ..

وداعا .. وداعا .. وداعا رجاء..»

وبعد فترة قصيرة خرجت روح المسكين الكبيرة

يسبقها صوت ضعيف في حشرجه غنيفة :

ليُنقَر الله العبير ♦ ♦ وليوفق الله الملك ..

وودعته صاحبة الجلالة الانسانية بقبلة بين عينيهِ وتابعها

وصيقاتها الثلاث الحرية والحكمة والحب فقبلته بين عينيهِ

وهتف الجميع في دموع :

في زمرة الله مختار!!

وعند الغروب ..

وعند غروب شمس يوم الخميس ٢٨ جمادى الآخرة
١٣٥٦ هـ - ٥ اغسطس ١٩٣٧ م . كانت الانسانية
المسدينة المسكينة ووصيفاتها الثلاث البائسات البائسات
الحب والحكمة والحرية يدخلن كوخهن البعيد البعيد بين
صخور المكس . ويغلطن الباب وراءهن . والاثير يحمل
صوت الانسانية :

” ترى هل سيجود الزمان بابن آخر ؟

ترى هل سيجودا ؟ ترى هل سيجودا ؟ ترى هل سيجودا ؟

وأصوات الحرية والحكمة والحب :

” من يدري ؟ من يدري ؟ من يدري ؟

املئنا كبر في رحمة الله ..

ورحمة الله وسعت كل شئ ..

تمت

كلمة

للأديب إبراهيم صهوان

استطعت في إلمامة من الوقت أن أتصفح كتاب
١٩٠١ ابتسامه ودموع ، المؤلفه الأديب محفوظ عبد العال غانم
فالقيته عند غايه تساميه ينتهى إليها من ناحية النقد البرى
والرغبة في الاصلاح الشامل .

ولقد أحسن المؤلف صنعا وهو يصور لنا بعض
مشاهد الحياة وما ينطوى بين صفحاتها من مأس محزنة
وأخلاق وضيعة وقلوب متحجرة تبعد عن النبيل في
أبسط صوره وتنحاز إلى السقط والتدلى إلى الهاوية .
وإلى غير ما عدل أورحة .

أحاطنا المؤلف علماً فيما أحاطنا بأسلوبه
الجميل ولهجته الصريحة القوية وتفكيره العظيم
الوقاد حيث جعلنا نرنوا بأصـارنا نحوه وهو حدث
لم يجاوز بعد العقد الثانى من العمر .

وفي الحق أن في نهوض المؤلف وصداق عزماته
وما أبداه من قوة الايمان وعظيم الثقة ثم جرصه

الشديد على إبراز كتابه الى عالم الوجود رغم
عوامل الضعف المنسابة حوله والصدمات العنيفة المواجهة
له التي يتلقاها بصبر واطمئنان والتي تلجج من
هم أقوي منه حالا الى التراجع والتقهر .. كل أولئك
من المفاخر العديده التي تجعلنا نقدمه للقراء ونذكره بما
هو اهل له من تقدير لا كمؤلف فقط بل كرجل يعمل لاسباب
النهوض عملا ايجابيا بينما يعيش على ما استدعيه مسببات العزة
والانفة ..

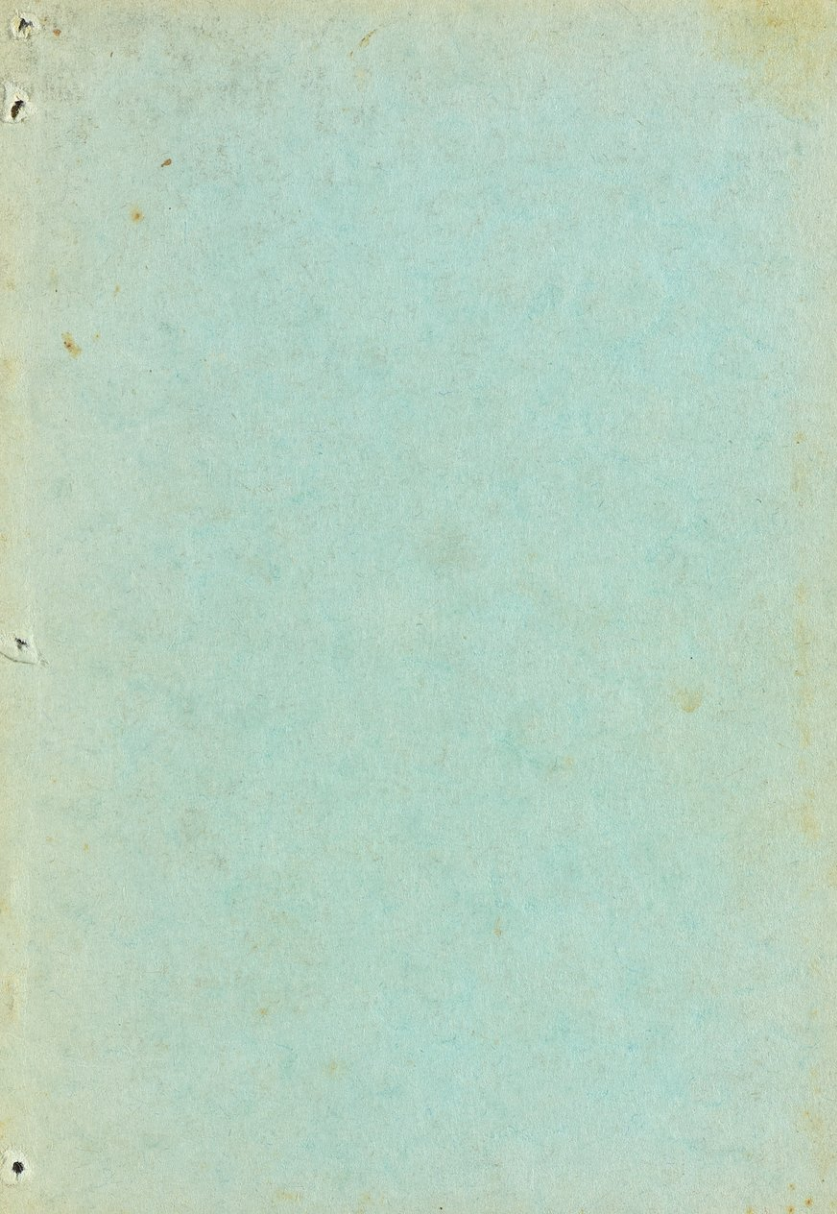
أجل في الكتاب ما أخذ يعوزها التهذيب وتحتاج
الى التنقيح والتنسيق لكي ينجو من العثار ويسلم من
الزلل في صدد تحديد الفصول وارتباط أجزائه برباط
التسلسل والتناسب وإبراز بعض المعاني بصورة أتم وأوضح
ولكننا نعرف أن فيه ادبا وادبا عاليا
وما كان لمثله وهو في المرحلة الاولى من حياته العملية
والثقافية أن حدوده أن يأمن جانب الخطأ او يرتفع به الرأي
الى حد السلامة من العثار والزلل . انما كان في تعبيره جاهدا
يسعى وراء السلامة ما وسعه الجهد واستطاعه العلم واحاطته
الخبرة .. وهو في هذا الصدد مثل صالح وقودة حسنة لمن
هم في ذات المستوى .

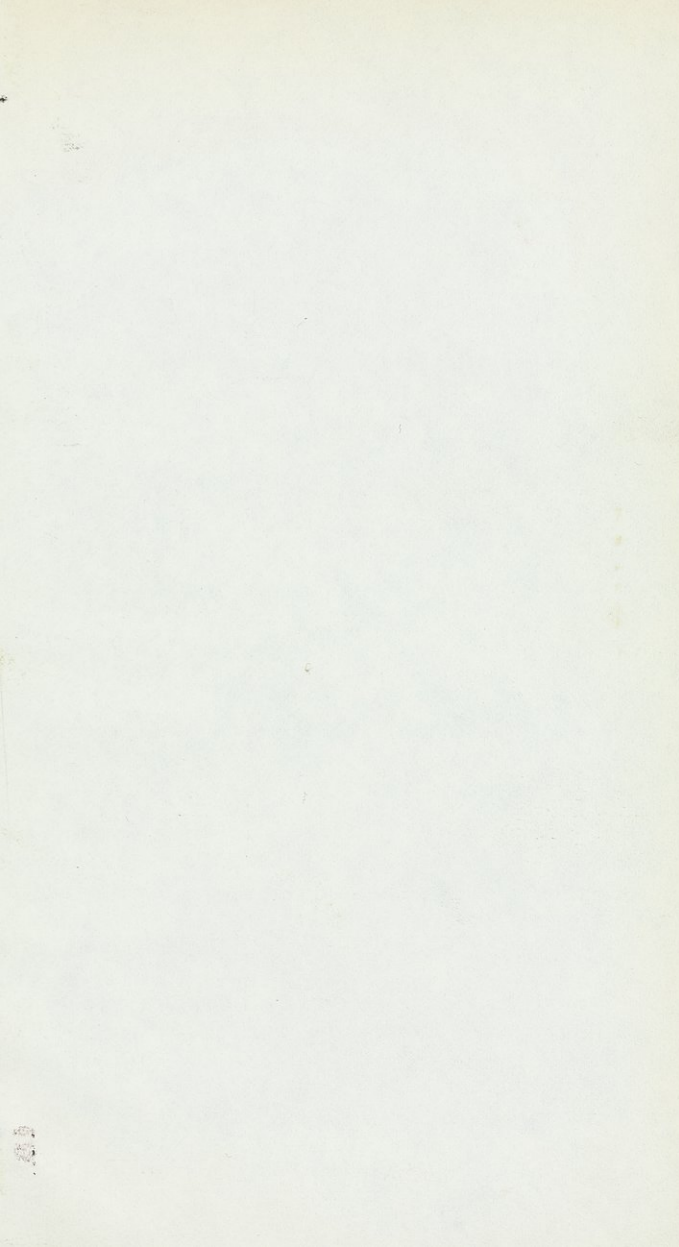
على انه ينبغي بنا أن نذكر أن المؤلف كان عاطفيا كثر

منه كاتبا . وحسبك حين تنتقل بين فصول الكتاب ان
تلمس من طرف خفي ما يجيش في صدره من شتى العوامل التي
تجعله آنا بين ثورة النفس واضطراماتها واخرى بين ظروف
حال قائمة جوها محزن ذو وجوم .

بهذا الشعور أملى المؤلف رسالته فتكونت من عصارتين
عصارة الادب وهى بارزة فيما انتهت اليه سلامة اللفظ من جودة
وسلامة المعنى من التنكب والاخلال المعيب وعصارة أخرى هي
حالته النفسية التي سكبها روحا وصقلها فصولا حتى استطاع أن
ياخذ بمجامع القلب وان يلبس القارىء ثوبه بقدرته على تصوير
المعنى وادراك الغاية وإصابة الهدف .

وعندى أنه با كورة حسنة وبادرة طيبة نرجوا صادقين ان
يوفق الى النهوض وان يتخذ من با كورته وصادق نفسه ثم
خبرته من الزمن ومن حياه العملية تكأة جديدة وسلاما صاعدا
يرتقي بهما الى الغايات التي يطمح اليها فى التأليف ليكون فى النفع
به وله خير عون وحسن جزاء







PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

THE ABU SHADI
MEMORIAL LIBRARY

PRESENTED BY

CHARLES A. DANA, JR. '37
H. H. PRINCE SADRUDDIN AGA KHAN
COUNCIL ON ISLAMIC AFFAIRS



Princeton University Library



32101 073553735

(NEC)

HG8059

.B8 M84

1938